البدايات الأولى لوصول العبيد للمستعمرات الأمريكية واوضاعهم العامة حتى قيام الثورة الامريكية (١٦١٩– ١٧٧٦)

احمد هاشم ناجي
أ.م.د. علي خيري مطرود

البدايات الأولى لوصول العبيد للمستعمرات الأمريكية واوضاعهم العامة حتى قيام الثورة الامريكية(١٦١٩– ١٧٧٦)

احمد هاشم ناجي
أ.م.د. علي خيري مطرود

المقدمة

تعد العبودية واحد من الاركان الاساسية التي بنُيت عليها الولايات المتحدة الامريكية منذُ اول يوم الذي وصلوا به الى شواطئ الولايات المتحدة عام ١٦١٩ وحتى نهايتها لا سيما وان الجنوب الامريكية كان يتميز بمنُاخ حار ورطب جداً لم يتمكن فيه المهاجرين من مختلف بُلدان اوربا من التأقلم فيه والقيام بالأعمال الشاقة لإنتاج التبغ والقطن وقصب السكر والتي تعد اهم المحاصيل التي شكلت مورد اقتصادي ليس فقط الولايات الجنوبية فحسب بل حتى الى جميع الولايات المتحدة الامريكية تحت ذلك المناخ مما جعلهم يتوجهون صوب استخدام العبيد القادمين من أفريقيا عبر تجارةٌ معادية للإنسانية وهي تجارة الرقيق، على العكس تماماً من الولايات الشمالية التي تعتمد على الصناعة بسبب مناخها المعتدل.

أن وصول العبيد وبتلك الإعداد التي أخذت بالازدياد تدريجياً ترك تأثيره من دون شك على مُجمل الحياة في المستعمرات البريطانية في أمريكا الشمالية، لاسيما من الناحيتين الاجتماعية والقانونية، فعلى الرغم من حجم الأرباح الكبيرة التي كان يجنيها سكان المستعمرات ومن خلفهم البريطانيون سوآءٌ من تجارة الصيد أو من عملهم في الزراعة وتنشيط الإقطاع الاقتصادي، إلا أن تدفق العبيد بتلك الأعداد الكبيرة خلق واقعاً اجتماعياً جديداً لأنهم تحولوا مع مرور الوقت إلى طبقة اجتماعية كبيرة أجبرت السلطات على التعامل معها عبر أصدار التشريعات القانونية التي تنظم وجودهم وعملهم وحياتهم العامة والخاصة، وقد شكلت كل تلك القوانين والتشريعات مع مرور الوقت أرثاً قانونياً كبيراً وبدلاً من أن يسهم في تنظيم وجودهم في المجتمع الأمريكي، فأنهُ أسهم بصورة او بأخرى في تعقيد الوضع داخل المستعمرات وإبراز ظواهر اجتماعية وقانونية جديدة ربما كان في مقدمتها التميز العنصري وحقوق الإفراد.

١– البدايات الأولى لوصول العبيد للمستعمرات ١٦١٩ .

أسهم اكتشاف العالم الجديد على يد البحارة كريستوف كولومبس (Christopher Columbus)[١] في خلق حالة جديدة من التنافس الدولي بين الدول الكبرى يومذاك وقد عبر ذلك التنافس عن نفسه بعدة وجوه أبرزها سعي تلك الدول لأكتشاف خبايا ذلك العالم ومحاولة أستيطان أراضيه واستعمارها عبر وسائل وطرق عدة، لعل من أهمها تشجيع مواطنيها على الهجرة الى العالم الجديد عبر

التلويح لهم بفرص اقتصادية كبيرة[٢]، ومع إن بريطانيا كانت أخر الواصلين، إلا أنها تمكنت في نهاية المطاف من اللحاق بتلك الدول حينما نجحت في تأسيس أول مستعمرة لها في العالم الجديد سنة ١٦٠٧، أطلقت عليها اسم "جيمس تاون" وأقيمت بالقرب من فرجينيا(Virginia)[٣].

وما أن وصل المستوطنون الجدد وبدأُ في ممارسة نشاطاتهم اليومية والعمل بالزراعة حتى واجهتهم الصعوبات الواحدة تلوا الأخرى، اذ سرعان ما تعرضوا للمجاعة وانتشار الأوبئة والصراعات مع السكان الأصلِين الأمر الذي أدى في النهاية الى تقليل أعدادهم ما انعكس سلباً على نشاطهم الزراعي، لذلك برزت الحاجة الى الاستعانة بأيدي عاملة تمتلك القدرة على الصمود في ذلك النوع من المنُاخ، لآسيما وأن بقاء المستوطنين أعتمد في الغالب على الزراعة والتجارة لبعض المواد التي كانت تتطلب جهداً كبيراً كمحاصيل الذرة التي كانوا يعدونها مصدر غذائهم الرئيسي او محصول التبغ المصدر الاول لتجارتهم[٤].

حاول المستوطنون الأوائل في أول الأمر البحث عن الأيدي العاملة المحلية، عبر التوجه لتوضيف الهنود والاعتماد عليهم، إلا أن هذا الخيار فشل بسبب الرفض الذي ابدآه الهنود للعمل بصفة عبيد لدى المستوطنين، الأمر الذي دفع بهم للبحث عن خيار بديل أخر، فقرروا الاعتماد على(الخدم البيض) الذين وصلوا المستعمرات للعمل بصفة خادم، إلا أن نجاح هذا الخيار لم يكن مضموناً لآسيما وأن الخدم البيض لم يكن عليهم إلتزام لأستثناء شروط العقد المبرم بيتهم وبين المالك يجرهم للعمل بصفة عبيد في المزارع، لذا كان الخيار الوحيد الناجح هو التوجه لأستخدام العبيد الافارقة لحل مشكلة الأيدي العاملة[٥].

ووفقاً لهذا المقترح بدأت عملية جلب العبيد الزنوج الى مستعمرة فرجينيا، ويتفق المؤرخون على أن أول شحنة وصلت المستعمرة سنة ١٦١٩، وذلك حين وصلت سفينة هولندية الى فرجينا، حاملة على متنها عدد من العبيد الزنوج المعروضين للبيع، وقد حاول صاحب السفينة وهو تاجر هولندي أن يقوم بعملية مقايضة العبيد بالسلع والمؤون التي كانت تنتج في المستعمرات، وفعلاً حدثت هذه المقايضة اذ باع التاجر الهولندي عشرين عبداً الى المستوطنين مقابل عدد من السلع، ليسجل ذلك التاريخ البدايات الأولى لأنتشار تجارة العبيد في المستعمرات البريطانية الأمريكية[٦].

وعلى الرغم أن العملية كانت الأولى في المستعمرات البريطانية في العالم الجديد، غير أنها لم تكن كذلك بالنسبة للعالم الغربي بصورته الأوسع، إذ شكلت هذه العملية استكمالاً لسجل طويل يحوي بين ثناياه قصة تجارة الرق الإفريقي الذين كانوا يجلبون من سواحل القارة الإفريقية عن طريق البرتغاليين اولاً، ثم الهولنديين وأخيراً التجار الفرنسيين والبريطانيين الذين تنافسوا فيما بينهم لجلب الرجال والنساء والأطفال وإخراجهم من موطنهم في القارة الإفريقية ومن ثم بيعهم في أسواق النخاسة العالمية، وظلت القارة السمراء ولمدة ٣٠٠ عام المورد الأكبر في العالم لجلب الرقيق[٧].

لقد كانت عمليات جلب العبيد من السواحل الإفريقية تتم عبر إرسالهم على شكل شحنات يتم تحميلها على السفن التي تقوم بدورها بنقلهم للعالم الجديد في رحلة طويلة وشاقة تزيد على ثلاثة الأف ميل وكان اغلب هؤلاء العبيد يوضعون في اقفاص خاصة داخل تلك السفن[٨]، كما كانوا يتعرضون إلى أمراض عديدة طيلة مدة الرحلة ومما زاد الأمر سوى بالنسبة لهم أن كثير من تجار العبيد كانوا يزيدون من حمولة السفن كثيراً ما يتجاوز طاقتها الاستيعابية في اغلب الأحيان[٩] بغية تحقيق مزيد من الأرباح ما يضطر العبيد إلى الوقوف في صفوف متراصة لدرجة لايتوفر لهم متسع من المساحة للأستلقاء الأمر الذي زاد من حالات الموت بينهم اثناء عملية النقل، وقد قدر بعظ الباحثين نسبة من يتوفون منهم بسبب ذلك الأمر، حوالي ١٢,٥ فيما زاد آخرون على هذه النسبة كثيراً[١٠].

وما أن تصل شحنات العبيد إلى سواحل المستعمرات البريطانية في العالم الجديد حتى يشرع التجار بإقامة مزادات علنية لبيعهم بعد أن يعمدوا إلى استبدال أسمائهم بأرقام، وما أن يتم شرائهم من البيض حتى ينقلوا إلى مزارع الحقول من اجل العمل بعد أن يتم منحهم أسماء جديدة من قبل المالكين الجدد[١١]، ومع وصولهم إلى المالكيين الجدد فأن معاناتهم تبدأ بدلاً من ان تنتهي، لاسيما بعدة أن بدأ وجودهم مع مرور الوقت واستمرار تدفقهم نحو العالم الجديد في المستعمرات يخلق وضعاً اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً جديداً، خلق معه ردود فعل معاكسة أتجاههم اتسمت بالظلم والاستبداد في كل مجالات الحياة[١٢].

وعلى الرغم من أن العبيد في أول الأمر لم يشكلوا عماد القوى العاملة في مستعمرات فرجينيا ومريلاند(Maryland) وكارولينا الشمالية (North Carolina) وكارولينا الجنوبية (South Carolina) لأنها كانت تعتمد "الخدم التعاقدي" إلا أن عدد الزنوج لم يلبث أن اخذ بالازدياد التدريجي بفعل عوامل مختلفة من أهمها اشتداد المنافسة بين مزارع التبغ، مما حثهم للبحث عن قوة عاملة أرخص لتقليل كلفة الإنتاج، الى جانب عزوف أصحاب المزارع عن استخدام "الخدم التعاقدي"[١٣] وذلك لأن أعالة الأخيرة كانت تكلف أكثر بمرتين من أعالة العبيد الزنوج، اظف لذلك أن العبد الزنجي يبقى ملك لصحابه مدى الحياة، في وقت تنتهي سطوة "الخدم التعاقدي" مع نهاية العقد المبرم، ولهذا الأسباب أخذت عبودية الزنوج الأفارقة تحل محل مؤسسة "العبيد البيض" إي "الخدم التعاقدي" تدريجياً[١٤].

ونتيجة للإقبال المتزايد على امتلاك العبيد بدأت عملية انتشارهم في المستعمرات المختلفة تزداد شيئاً فشياً، فبعد أن دخلوا إلى فرجينيا[١٥] تم السماح بإدخالهم الى ديلاوير (Delaware) التي كان مؤسسيها من السويديين يرفضون فكر إدخال العبيد لها، إلا أن الهولنديون تمكنوا بعد ذلك من إدخال الزنوج إليها عام ١٦٣٦ على الرغم من أن الاعتراف بهم داخل هذه المستعمرة لم يحدث إلاَّ عام ١٧٢١[١٦].

إما في مستعمرة نيويورك (New York) التي كانت تسمى سابقاً (بهولندا الجديدة) فقد أدخل إليها العبيد عام ١٦٣٨عن طريقة شركة الهند الغربية الهولندية(Dutch West India Company)[١٧] والتي

أدت دوراً كبيراً في نقل أعداد كبيرة من الزنوج إلى المستعمرات البريطانية في أمريكا الشمالية، وقد استمر تدفقهم إلى هذه المستعمرات حتى بدأُ يشكلواً وجوداً قائماً بحد ذاتها، ألأمر الذي اضطر معه السلطات في نيويورك للاعتراف بنظام العبودية في المستعمرات بصورة رسمية عام ١٦٦٤[١٨].

لقد شكل عام ١٦٣٨، البداية الحقيقية لدخول العبيد إلى ولاية مريلاند التي اقر مجلسها التشريعي قانوناً ينظم وجود العبيد في المستعمرات، وكذا الحال مع ولاية بنسلفانيا (Pennsylvania) التي نقُل إليها العبيد عن طريق الهولنديين والتي أصدرت في عام ١٦٦١ قانوناً لتنظيم وجودهم داخل المستعمرة وآليات لتعامل معهم[١٩] كما دخل الرق لولاية كونيتيكت (Connecticut) وتم الاعتراف به رسمياً في عام ١٦٥٠[٢٠] وفي كارولينا الشمالية تم الاعتراف به بشكل قانوني عام ١٦٩٠[٢١].

إما بالنسبة لمستعمرة جورجيا (Georgia) فعلى الرغم من أن مجلسها التشريعي وسكانها فرضوا حضراً على تجارة العبيد واستيرادهم منذ اليوم الأول لتأسيسها عام ١٧٣٣، إلا أن تنامي الحاجة إليهم ولدّ ضغوطاً كبيرة أدت إلى إنهاءه سنة ١٧٤٩ وصدر أول تشريع يتعامل مع العبيد عام ١٧٥٥[٢٢].

ومما لا شك فيه انتشار العبيد داخل المستعمرات البريطانية في أمريكيا الشمالية تم بصورة تدريجية لكن سرعان ما حصل على وجود شرعي بعد أن تم تأطيره بالعديد من القوانين والتشريعات التي أصدرتها المجالس المحلية في المستعمرات وقد شكلت تلك التشريعات دليلاً قوياً ضد الاعتقاد الذي ساد بأن نظام العبودية في المستعمرات لم يكن وجوده قانونياً ولم تسهم المؤسسات القانونية في تجذيره داخل المجتمع الأمريكي فيما بعد، وانه كان وليد الظروف السائدة ويتضح ذلك جلياً من وجود قوانين وتشريعات حاولت أن تفرق بين العبيد الزنوج الأفارقة وبين العبيد الخدم التعاقدي[٢٣].

شكلت عملية نقل العبيد وبيعهم مصدر جديداً ومربح للتجارة ما دفع السلطات البريطانية إلى تعزيز جهودها في هذا المجال وذلك عبر زيادة عمليات نقل العبيد وجلبهم إلى العالم الجديد، لاسيما بعد أن بدأ العبيد بالعمل بالزراعة الأمر الذي قاد إلى زيادة المساحات المزروعة وتنوع محاصيلها ما كان يعني بالضرورة زيادة كميات التصدير ولاسيما بالنسبة لمحاصيل كالتبغ والسكر والقمح والقطن التي كانت تستورد منه بريطانيا كميات كبيرة جداً، فساهم استيراد هذه المنتجات من مستعمرات العالم الجديد بدلاً من أوربا واسيا في تخفيض الأعباء المالية الكبيرة التي كانت تتحملها بريطانيا نتيجة استيراد تلك المنتجات من تلك الأماكن[٢٤].

دفع ذلك الحكومة البريطانية إلى محاولة احتكار عملية نقل العبيد وبيعهم للمستعمرات ولذلك أعطت الحكومة تراخيص لثلاثة شركات خاصة لنقل العبيد وبيعهم في المستعمرات[٢٥] كانت جميعها شركات بريطانية، واستبعدت السفن الهولندية صاحبة الدور الأكبر في تلك التجارة، ولذلك سرعان ما بدأت سلبيات هذا الأمر تظهر إذ فشلت تلك الشركات في أن تؤدي ذات الجهد الذي كانت تقوم به سفن

الشركات الهولندية فلم يصل المستعمرات خلال سبعة سنوات سوى حمولتين او ثلاث بعد عام ١٦٦٤[٢٦].

وعلى الرغم من تراجع وصول العبيد للمستعمرات الأ أن الحكومة البريطانية استمرت في منح التراخيص للشركات، فقد حدث ان شهد عام ١٦٧٢ حصول شركة رويال إفريقيا(Royal Africa) على تراخيص من ملوك انكلترا لنقل العبيد وبيعهم في المستعمرات مقابل دفعها مبلغ قدره ١٧٥,٠٠٠ دولار، والتزمت الشركة التي قدر رأس مالها ٥٠٠,٠٠٠ بتوريد ١٤٤,٠٠٠ إلف عبد إلى المستعمرات وعلى مدى ثلاثين عام[٢٧] وبواقع ٤٨٠٠ عبداً في كل عام، وقد نجحت الشركة فعلاً في أن ترسل بين الأعوام (١٦٨٠–١٦٨٨) حوالي ٢٤٩ سفينة محملة بالعبيد شحنت حوالي (٦,٧٨٣) فيما جلبت في المدة الممتدة ما بين (١٦٩٨–١٧٠٧) حوالي (٢٥٠,٠٠٠) عبد[٢٨].

لقد أخذت أعداد العبيد الزنوج تزداد تدريجياً مع كل عام حتى وصلت عام ١٦٧١ إلى ما نسبة ٥% من مجموع السكان ثم ارتفعت هذه النسبة الى٢٤ % عام ١٧١٥[٢٩] ويمكن ملاحظة ذلك عبر تتبع الجدول رقم (١) ادناه

الولايات	عدد السكان الأبيض	عدد السكان الأسود	المجموع الكلي
نيوهاميشاير	٩٥٠٠	١٥٠	٩٦٥٠
ماساتشوستس	٩٤٠٠٠	٢٠٠٠	٩٦٠٠٠
رود ايلاند	٨٥٠٠	٥٠٠	٩٠٠٠
كونيتيكت	٤٦٠٠٠	١٥٠٠	٤٧٠٠٠
نيويورك	٢٧٠٠٠	٤٠٠٠	٣١٠٠٠
نيوجرسي	٢١٠٠٠	١٥٠٠	٢٢٥٠٠
بنسلفانيا وديلاوير	٤٣٣٠٠	٢٥٠٠	٤٥٨٠٠
ماريلندا	٤٠٧٠٠	٩٥٠٠	٥٠٢٠٠
فرجينيا	٧٢٠٠٠	٢٣٠٠٠	٩٥٠٠٠
كارولينا الشمالية	٧٥٠٠٠	٣٧٠٠٠	١١٢٠٠
كارولينا الجنوبية	٦٢٥٠	١٠٥٠٠	١٦٧٥٠
المجموع	٣٧٥٧٥٠	٥٨٨٥٠	٤٣٤٦٠٠

جدول رقم (١)

يوضح هذا الجدول عدد سكان المستعمرات الأمريكية البيض والسود لسنه ١٧١٥[٣٠].

وبدلاً من ان تقوم بريطانيا او المستعمرات على الحد من تلك الزيادة للحفاظ على التوازن الديموغرافي على الاقل، فأنها عمدت للعكس اذ استمرتا في جلب العبيد، حتى ان عدد الزنوج في بعض الولايات فاق عدد سكان البيض كما حدث في ولاية كارولينا الجنوبية التي ازدادت نسبة العبيد الزنوج فيها إلى أثنين

لكل واحد عام ١٧٢٤، ومع نهاية عام ١٧٥٦ كانت نسبة العبيد قد وصلت إلى ما نسبة ٤٠% من عدد السكان[٣١].

وعلى الرغم من تلك الزيادة في الاعتماد على الزنوج، الأ أن ذلك الامر لم ينعكس ايجابياً على اوضاعهم الاجتماعية بالمطلق والتي استمرت بالتدهور طيلة المدة التي سبقت حرب الاستقلال ١٧٧٦.

٢– الأوضاع العامة للعبيد حتى الثورة الأمريكية ١٧٧٦ .

لقد كان التميز العنصري واحداً من أهم المشاكل التي أنتجها انتقال العبيد للمستعمرات، سواء في التشريعات الحكومية أو في السلوكيات العامة للناس وعلى الرغم من أنُ ظهور الأول كان عرقياً عبر سلوكيات المجتمع، ألا أنه سرعان ما تم تكرسيه من خلال القوانين والتشريعات التي توالى اصدراها عبر التاريخ الأمريكي والتي أسهمت بنهاية الأمر في تأطير هذه الظاهرة قانونياً حتى أصبحت جزأ لايتجزأء من الذهنية الجمعية الأمريكية[٣٢].

كانت أولى القوانين التي رسخت لمفهوم العنصرية ونزع الحقوق المدنية للعبيد السود في المستعمرات البريطانية في أمريكيا الشمالية تلك التي أصدرتها ولاية مريلاند والتي منحت بموجبها حقوقاً كبيرة لسكانها من المسيحيين وأستثنت من ذلك ما أسمتهم "الأرقاء" وكانت تشير بتلك التسمية للهنود والعبيد[٣٣]، تلا ذلك القانون أصدار قوانين أخرى في بقية المستعمرات عززت التميز العنصري ضد العبيد ومن تلك القوانين القانون الذي أصدرته فرجينيا عام ١٦٤٠ وحرمت على العبيد بموجبه حمل السلاح أسوةً بالبيض، وقد دعمت تلك القوانين عبر سلسلة طويلة من الممارسات القانونية الغير عادلة اتجاه العبيد[٣٤]. فعلى غرار ولاية فرجينيا أصدرت السلطات التشريعية في ولاية ميريلند قانون مماثلاً لقانون عام ١٦٤٨ فمنعت العبيد كذلك من حمل السلاح وفرضت عقوبة الجلد التي كانت تتراوح ما بين ٢٠ – ٤٠ جلدة لمن يخالف ذلك القانون[٣٥].

وعلى الرغم من أن ولاية كونيتيكت ربما كانت اقل الولايات ضماً للعبيد، أذ لم يتجاوز عددهم يومذاك الثلاثون عبداً، إلا أنها شرعت كذلك بإصدار القوانين التي تعالج قضايا العبيد ومن ذلك القانون الذي أصدرته في عام ١٦٦٠ قدرت فيه استبعاد الزنوج من الانضمام لقوات الميلشيات او وحدات الحراسة او المراقبة في المستعمرات[٣٦].

ومع تعدد تلك القوانين وتطرفها، غير أنها لم تقف عند حدود العبيد بشخصهم فقط بل امتد ليشمل عوائلهم وأبنائهم، فقد أصدرت ولاية فرجينيا عام ١٦٦٢ قانوناً عالجت فيه الوضع القانوني والاجتماعي لذرية العبيد وأبنائهم ومد الحق القانوني لملكية الأبناء بملكية أهلهم فالعبد ملك لمالك أمه من البيض، وكذا الحال في حالت زواج رجل ابيض من امرأة زنجية فأن الأبناء يتبعون إلام وليس الأب[٣٧].وفي إطار

نفسه أصدرت ولاية مريلاند بين عامي (١٦٦٣ – ١٦٦٤) تشريعاً عدت فيه الزنوج الموجودين في داخل المستعمرة او أولئك الذين يتم جلبهم فيما بعد عبيداً لسادتهم على إن تمتد هذه العبودية لأبنائهم سواء في حياة إبائهم أو بعدها(٣٨).

كما كانت ملكية العبد كذلك محور القانون الذي أصدرته ولاية فرجينيا عام ١٦٦٩ والذي عدت فيه العبيد ملكاً خاصاً لمالكيهم ولسادتهم الحق في القضاء عليهم أو التخلص منهم، ثم سرعان ما عُدل هذا القانون في عام ١٧٠٥ حيث أصبح العبيد بموجب التعديل الأخير عبارة عن عقار ثم عدل هذا الوصف أكثر من مرة حتى تم الاتفاق على وصفهم "ممتلكات منقولة " وهو الوصف القانوني الذي اقره قانون عام ١٧٥٠(٣٩).

لقد كان قانون ١٧٥٠ من أكثر القوانين تشدداً تجاه العبيد الزنوج، فقد ضيق الخناق عليهم كثيراً ومنعهم حتى من مغادرة المزارع التي يعملون بها، أما أذا حدث وأرادوا المغادرة لحالة طارئة فعليهم حينها حمل تصريح مختوم من مالكهم وسادتهم، و في حال عدم الالتزام بذلك الأمر فأن العبد الذي يتم إلقاء القبض عليه ولا يحمل تصريحاً، فأنه يتعرض لعقوبات قاسية من بينها الجلد ومن ثم تتم إعادته لسيده(٤٠)، وقد وصل معهم الأمر في الاستهانة بالعبيد الزنوج في هذا القانون بأنه منعهم من الخروج ليلاً دون أن يحملوا معهم شمعة مضاءة أو أي وسيلة أنارة أخرى(٤١).

مما لا شك فيه أن الاتجاه نحو العبودية المتزايدة مع بدايات القرن الثامن عشر عكس ارتباطاً وثيقاً بحاجات المستعمرات الاجتماعية والاقتصادية المتنامية ففي منطقة نيوإنجلاند(٤٢) التي كان يتسم مناخها بالبرودة قل النمط الزراعي للمجتمع وزاد في المقابل نمو المدن الحضرية، لذلك فأنها لم تكن بحاجة كبيره كما الولايات الزراعية لاعداد كبيرة منهم لاسيما الذين يتقنون منهم مهارات عالية، أظف لذلك فأن امتلاك العبيد وايوائهم والانفاق عليهم وتوفير مستلزمات السكن المناسب لهم في ذلك المناخ البارد يكلف كثيراً، الأمر الذي انعكس سلباً على الرغبة في تملكهم ومن ثم قلة اعدادهم في تلك المناطق، لذلك فضل سكان نيوإنجلاند التجارة بهم بدلاً من امتلاكهم فكانت تلك التجارة سبباً رئيسياً في معظم الثروات الكبيرة التي كان يمتلكها سكان تلك المناطق(٤٣).

لم يختلف الحال كثيراً بالنسبة السكان المستعمرات الوسطى والتي لم يكن مُناخها او تربتها يساعدان على انتشار الزراعة، فأن معظم سكانها فضلوا إتباع ذات الأسلوب الذي اتبعه سكان نيوإنجلند لتأمين حاجاتهم مع العبيد، فعمدوا لتوظيف العبيد المتعاقدين لأنهم اقل كُلفةً من العبيد الزنوج، لاسيما وان العبيد المتعاقدين يستقرون في نهاية المطاف في اراضي خاصة بهم الأمر الذي سيسهم في زيادة نسبة سكان البلاد وأعمارها، أضف إلى ذلك أن النظرة للعبيد في تلك المناطق قد تأثرت كذلك بالأفكار والمعتقدات

التي كان تبناها وروج لها جماعة الكويكرز (Quakers)[٤٤]، والتي كانت في معظمهما تعارض عملية استعباد البشر وضرورة تحريرهم ودعوا أكثر من مرة للإلغاء تجارة البشر[٤٥].

أما بالنسبة للجنوب، فقد حدث العكس تماماً إذ أن المساحات الواسعة ذات التربة الخصبة والمناخ الملائم لزراعة المحاصيل الصعبة مثل التبغ والتيلة والقطن ولدا الحاجة للأيادي العاملة الرخيصة التي يمكن لها أن تعمل في المزارع الواسعة التي كانت منتشرة في تلك المناطق، وقد وجد المزارعون بأن العبيد الزنوج هم فقط من يمكنهم أن يسدوا تلك الحاجة لاسيما مع أعدادهم الكبيرة وأسعارهم الرخيصة أذ ما قيست بأجور وأسعار الخدم التعاقدين[٤٦].

أما في ما يتعلق بأوضاع العبيد وحياتهم اليومية داخل المستعمرات فقد كانت بصورة عامة سيئة جداً، فأن العبد ملك لسيده وللأخير حق التصرف به كيفما يشاء ووقت ما يشاء، وله حق أعارته لأداء مهام أخرى لدى أشخاص آخرين، وكثيراً ما كانت تستخدم القسوة ضدهم، ومع أن هذه الحالة كانت عامة في كل أرجاء المستعمرات غير أنها كانت أشد حالاً في المستعمرات الجنوبية حيث ألاف العبيد الزنوج ممن يعملون في عشرات بل مئات المزارع الواسعة التي تنتشر في طول البلاد وعرضها، والتي يزرع فيها محاصيل صعبة تتطلب ساعات عمل طويلة وجهود كبيرة كالتبغ والقطن والتيلة، ولذلك كان عمل العبيد الزنوج يمتد من ساعات الشروق الأولى حتى الغروب في معظم الأحيان ولم يكن أصحاب العمل يستثنون احد من العمل بل يشمل الجميع بما في ذلك الأطفال صغار السن والشيوخ وكبار السن[٤٧].

وكان العبيد الزنوج في الغالب يتم تصنيفهم حسب نوعية العمل ومقدراتهم الجسدية فكانت المهام الصعبة توكل للأقوياء منهم اما الضعفاء جسدياً منهم فكان يتم إبقائهم في الغالب إلى جانب النساء اللواتي كن أكثر معانات من الرجال لاسيما في ضوء امتلاك معظمهن لأطفال صغار مما يجعل الأمر أكثر صعوبة عليهن خصوصاً وأن جلب الأطفال الصغار للعمل داخل الحقول والمزارع كان كثيراً ما يعرضهم للموت بسبب الأجواء والأمراض أو بسب لدغات الحشرات والأفاعي السامة، الأمر الذي اجبر النسوة على حمل أطفالهن الرضع على ظهورهن مماً كان يعني بالضرورة مزيداً من الجهد والتعب، وفي بعض الحالات كن النسوة يجبرن على ترك أطفالهن داخل الأكواخ دون رعاية لساعات طويلة جداً، ومع أن يوم الأحد كان عطلة للعبيد لأسباب دينية إلا أنهم كانوا يحرمون في العادة من أيام العطل والمناسبات الأخرى[٤٨].

لقد شكل المشرفون على عمل العبيد وخاصة في الحقول، اضطهادا أخر إذ كان عملهم مراقبة العبيد وأعمالهم وكانوا قساة جداً في التعامل معهم، وغالباً ما كانوا يوصفون بأنهم "عديمو الرحمة" وانهم كانوا دائماً ما يحملون السياط بأيديهم ليضربوا بها العبيد طوال الوقت، ولاسيما عند توقف العبيد عن العمل

نتيجة ألتعب أو طلباً للراحة، وكانوا يؤدون أعمالهم مقابل نسبة تمنح لهم من المحاصيل التي كانوا يشرفون على زراعتها في المزارع التي كانوا يعملون فيها(٤٩).

أما بالنسبة للعبيد الزنوج في المناطق الشمالية فكانوا بصورة عامة أفضل حالاً من العبيد في المناطق الجنوبية، اذ عاش العبيد في الشمال غالباً مع سادتهم في ذات المنزل، وعملوا بصفة خدم في البيوت إلى جانب أدائهم بعض الأعمال الأخرى التي يكلفون بها لصالح سادتهم من وقت إلى أخر، وكان عيشهم الدائم في نفس المسكن مع سادتهم قد جعلهم تحت الإشراف المباشر والمستمر من مالكهم كما انه ضيق كثيراً من مساحة الخصوصية التي كانت ممنوحة لهم(٥٠).

ومع ذلك فأنهم كانوا فضل حالاً من حيث السكن بالنسبة للعبيد في المناطق الجنوبية الذين كانت منازلهم فقيرة وبسيطة جداً وهي في الغالب عبارة عن أكواخ صغيرة تبنى داخل المزارع أو على أطرافها إذ كان مالكي العبيد يحجمون عن بناء المنازل القوية والكبيرة داخل مزارعهم، ليسهل عليهم إزالتهم في المستقبل اذ ما أردوا التوسع في المزارع أو شراء أخرى مجاورة، وقد كانت تلك الأكواخ خالية من أي أثاث أو مقومات الحياة الأساسية فيها عدا النار التي كانت يتم إيقادها داخل الكوخ لأغراض التدفئة والطعام، وكانت تترك أيام الشتاء مشتعلة حتى الصبح لأغراض تدفئتهم من البرد القارص، فيما يتم إبقائه مشتعلة كذلك أيام الصيف لغرض إبعاد الحشرات كالبعوض وغيرها عبر استخدام الدخان المتصاعد منها، ونتيجة لضعف تلك الأكواخ وتهالكها فان العبيد كثيراً ما كانوا يفقدونها أيام العواصف والرياح العالية او الفيضانات(٥١).

كما كان مالكي العبيد ورغبة منهم في تقليل تكاليف اطعام العبيد أخذوا يقللون من كميات ونوعيات الوجبات الغذائية التي تقدم لهم وكانت كميات الطعام التي تقدم على قلتها تحوي مواد مثل الذرة والبطاطه والرز ولحم الخنزير، وتمنح للعبيد على وجبتين فقط خلال اليوم الواحد وتكون في الغالب من محاصيل مخزونة او قديمة وفاقدة للقيمة الغذائية(٥٢).

أما بالنسبة للملابس فكانت تمنح للعبيد مرتين في العام الواحد مرة في فصل الشتاء وتكون سميكة ومصنوعة في الغالب من الصوف او القطن، والأخرى في فصل الصيف وتكون رقيقة وخفيفة ونادراً ما كان يتم تعويض العبيد عنها لاسيما وأن تلك الملابس وفي حالة العمل المستمرة بالنسبة للعبيد كانت تتلف بعد عدة أسابيع من استخدامها لذلك فأن العبيد ولاسيما خلال فصل الصيف غالباً ما كانوا يعملون عراة ما خلا قطعة قماش صغيرة تغطي أسفل خصرهم بما في ذلك النساء اللواتي كن يعملن على هذه الصورة أمام الرجال أو أمام أطفالهن كما كان العبيد يمنحون زوجين من الأحذية طيلة العام سرعان ما تتلف هي الأخرى بسبب العمل وكثرته(٥٣).

اما فيما يتعلق بحق التعليم فلم يكن يمنح لأحداً من العبيد، فقد تعمد مالكيهم وسادتهم حرمانهم من القراءة والكتابة، الا ما خلا بعض المهارات التي تساعدهم في خدمة مالكيهم، وأما ما حصل عليه بعض العبيد من تعليم بسيط، فقد كان بفعل ما عرف "مدارس الأحد" وهي مدارس دينية تتبع الكنيسة و بعض الجماعات الدينية(٥٤)، وقد كانت جماعة الكويكرز التي تقف بالضد من العبودية، أول من أسس مدارس لتعليم العبيد ولم يكن هذا الأمر مقبولاً من الجميع لذلك سارعت بعض الولايات الجنوبية إلى تمرير قوانين من شأنها منع الناس من تعليم عبيدهم القراءة والكتابة، وكانت كارولينا الشمالية أول من سنت قانون يمنع تعليم العبيد عام ١٧٤٠ وتلتها جورجيا عندما أصدرت قانون يمنع تعليم العبيد سنة ١٧٥٨، وقد اعتقد مالكي العبيد والقوى الحاكمة يومذاك بأن تعليم العبيد الكتابة يسهم في زيادة إقدام العبيد على تزوير تراخيصهم وأوراق تحريرهم كما إن منع الكتابة سيحد من قدرة العبيد على الاتصال مع بعضهم البعض عبر كتابة الرسائل(٥٥).

ومع تلك الحياة فأن العبيد كانوا يتعرضون لمعاملة قاسية جداً من قبل مالكيهم وكان العذاب المستمر ابرز ملامحها، وقد تتنوع بين الركل والجلد والتجويع والسجن وقد يصل أحيانا لتشويه أجسامهم او قطع أجزاء منها(٥٦)، وكان ذلك في الغالب يتم لأسباب بسيطه وغير معقولة بالمرة(٥٧).

ونتيجة لكل تلك الظروف القاسية التي كان يعيشها العبيد في طل القوانين الجائرة التي كانت المجالس التشريعية المحلية تقيدهم بها فأن العديد منهم كان يلجأ للهرب كوسيلة أخيرة للنجاة، فيما يضطر قسم أخر للتمرد أحياناً أو القيام بإعمال عنف لاسيما في المناطق الجنوبية التي شهدت الكثير من التمردات وإعمال العنف(٥٨).

ومن اجل تبرير عملية مواجهة العبيد المتمردين والقضاء عليهم فأن سادتهم أو حتى السلطات المحلية كانت غالباً ما تصفهم بصفات المجرمين وبأنهم "عبيد متمردين وفارين، ولصوص او كسالى يتظاهرون بالمرض بتدمير المحاصيل وأدوات الزراعية، وبأنهم قتلة يغتالون المشرفون عليهم في العمل وكان مالكي العبيد يصنفونهم في الغالب لعدة أصناف فمنهم من يعود طوعاً لسيدة، ومنهم من يهرب إلى مناطق بعيدة عن مدنهم والذين يقدمون أنفسهم على أنهم أحرار، والنوع الثالث هم قتلة، مشعلي الحرائق في المدن والذين يخرجون عن سياسة المستعمرة"(٥٩)، ومن بين المناطق التي شهدت تمردات للعبيد في تلك المدة مدينة نيويورك التي كان العبيد يشكلون ما نسبة ١٠% من سكانها إذ شهدت هذه المدينة العديد من التمردات، أقدم في أحدها خمس وعشرون عبداً وهندي بإشعال الحرائق في إحدى المباني، ثم قتلوا تسعة من البيض وقد تم القبض على المتمردين وقدموا إلى المحاكم حيث اعدم واحد وعشرين منهم(٦٠).

وعلى الرغم من أعدام هذا العدد الكبير من الزنوج غير أن التمردات لم تتوقف بالعكس اذ سرعان ما اندلعت أخرى مماثلة في مستعمرات أخرى من بينهم كارولينا الجنوبية التي شهدت تمرداً كبيراً في أيار

عام ١٧٢٢ حين قام مجموعة من العبيد بإثارة الفوضى والخراب في المزارع، إلا أن القوات النظامية تمكنت من إلقاء القبض على اغلبهم ومعاقبتهم فيما تمكن قسم أخر بالفرار إلى المناطق بعيدة[٦١].

كما شهدت فرجينيا هي الأخرى تمرداً في الأول من تشرين الأول عام ١٧٢٢ حيث تمكنت مجموعة من العبيد من الحصول على السلاح وخططوا لقتل الكثيرين من السكان البيض في الكنيسة مستغلين انشغال الناس بالصلاة غير أن تمردهم سرعان ما تم كشفُه، ما اضطرهم للهرب، ومثلما حصل في فرجينيا حصل في جورجيا حيث شهدت هي الأخرى تمرداً للعبيد في عام ١٧٢٨ حيث أرادا العبيد الانتقام من سكان المدينة البيض عبر قتلهم، وما كاد ينتهي هذا التمرد حتى عادت مستعمرة فرجينيا لتشهد تمرداً أخر في عام ١٧٣٠، وأخر في كارولينا الجنوبية عام ١٧٣٩، كما شهد عام ١٧٣٩ اندلاع ثلاث تمردات مهمة في كارولينا الجنوبية، فيما عادت نيويورك لتشهد عام ١٧٤١ تمرداً أخر حيث شهدت المدينة حرائق كبيرة أثارت الهلع والذعر بين السكان و قد تم الكشف على المسببين وهم ثمانية عشر عبداً وأربعة من البيض وتم القضاء عليهم[٦٢].

الخاتمة

لقد بينت الدراسة ومن دون شك بأن العبودية كظاهرة في المجتمع الامريكي جاءت بناءً على حاجات اقتصادية بحتة، على الاقل في أول الأمر، فالحاجة المتزايدة لليد العاملة الرخيصة بل والمجانية احياناً، هي من وقفت خلف تزايد أعداد العبيد وأتساع الإتجار بهم، على الاراضي الامريكية، غير أن ذلك الامر لا يعني أن الحاجة الاقتصادية لم تتداخل مع مرور الوقت مع حاجات سياسية واجتماعية أخرى بل ودينية في مرحلة ما، لاسيما مع تطور البنية الوجودية للمجتمع الامريكي على الرغم من التمايز الفكري الي بدأ يميز الشمال عن الجنوب منذ اليوم الاول لاستعمار القارة الامريكية.

ومما لاشك فيه ظل وجود هؤلاء الاشخاص المعدوم داخل المجتمع الامريكي طيلة تلك المدة التي كانت اهم سماتها التفرقة العنصرية التي تعامل بها سكان تلك الولايات مع جميع العبيد القادمين الى القارة الجديدة دون أستثناء، اذ لم يعدو ان يكونوا خدم في الشمال في البيوت وعمال يعاملون بقسوة في مزارع الجنوب الشاسعة وظل هذا الامر حتى قيام الدولة الامريكية.

الهوامش:

(١) كريستوف كولومبس (١٤٥١ – ١٥٠٤) ولد في جنوب ايطاليا، وكان من عائلة متواضعة الحال، عمل والده حائكاً في المدينة نفسها، ودرس كرستوفر الفلك والهندسة والجغرافية، وقصد اسبانيا والبرتغال عامي (١٤٨٠ – ١٤٨٦) للحصول على دعم لمغامرته البحرية، وكان يعتقد ان بمكانه الوصول إلى الشرق من خلال الغرب، وقاد عدد من رحلات الاستكشافية التي اسفرت احدها من اكتشاف اراضي القارة الامريكية الشمالية. للمزيد حول كرسنوفر ودوره في الكشوف

الجغرافية يراجع : صاموئيل اليوت موريسون، كريستوف كولمبس، المكتشف العظيم، ت : فوزي قبلاني، بيروت، ١٩٥٩.

(٢) هنري بامفورد باركيز، تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية تمدد أوربا المرحلة الممهدة لاكتشاف العالم الجديد حتى سمو المثالية الاجتماعية (١٤٩٢–١٨٥٠)، ت:علي البديري، دار الحكمة، بغداد، ٢٠١٣، ص٨٤–٨٦.

(3) J. A. Spencer ,History of the United States of America, Vol .1,New York,1874, pp.29-40.

(٤) هوارد زن، التاريخ الشعبي للولايات المتحدة الأمريكية من ١٤٩٢، ج١، ت:شعبان مكاوي، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٥٨–٥٩.

(٥) المصدر نفسه، ص ٦٠ .

(6) Henry Wilson, History of The Rise and Fall of The Slave Power in America , Vol. 1, Boston 1872 ,p.2. ; Emma Langdon, Roche History Sketches of The South, New York,1914 ,p.6 .

(٧) ابنا كورين براون، تاريخ الزنوج في أمريكا، ت : الدكتور م. عيسى، القاهرة، د.ت، ص ١٧.

(8) William kittle, Freedom Versus Slavery in The United States (1619–1864), Chicago,1906, p.11.

(9) Ibid.

(١٠) اينا كورين براون، المصدر السابق، ص٢٢ – ٢٣ .

(١١) ديب علي حسين، الولايات المتحدة الأمريكية من الخيمة الى الإمبراطورية، دار الأوائل، دمشق، ٢٠٠٢، ص٣٣.

(12) C.G. Parsons, Inside View of Slave, Boston, 1855,p.106 .

(١٣) هاشم صالح التكريتي، مقدمة في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية من الاكتشاف إلى الاستقلال، دار ألجواهري، بغداد، ٢٠١٣، ص ٩٤.

(١٤) فرحان زيارة، تاريخ الشعب الأمريكي، مطبعة جامعة برستون، بيروت، ١٩٦٦، ص٢٦.

(١٥) على الرغم من إن فرجينيا كانت أول مستعمره دخل إليها العبيد إلا أنها لم تعترف بوجودهم القانوني لا في عام ١٦٦١، حينما أدرجت الاعتراف بهم ضمن القانون الأساسي .للمزيد ينظر:

Benjamin Brawly, A Social History of The American Negro ,New York, 2004,p 11.

(16) Wm. I. Alexander, History of The Colored Race in America, Kansas , 1890,p.135.

(١٧) شركة الهند الغربية الهولندية: شركة تجارية هولندية، تأسست في ١٦٢١ كان هدفها شن حرب الاقتصادية ضد اسبانيا والبرتغال من خلال ضرب مستعمراتها في جزر الهند الغربية وأمريكا الجنوبية، وعلى ساحل أفريقيا وقد حققت نجاح لها ضد البرتغاليين في البرازيل في عام١٦٣٠، يحكمها مجلس يمثلون مناطق مختلفة من هولندا، منحت الشركة احتكارا للتجارة مع الأمريكيتين وأفريقيا ومنطقة المحيط الأطلسي، تم حله في ١٧٩٤. للمزيد ينظر:

http://www.britannica.com/topic/Dutch-West-India-Company.

(18) Wm. I. Alexander ,Op. Cit ,p.135.

(19) John W. Cromwell , The Negro in American History, Washington, 1919,pp.3-4.

(20) Benjamin Brawley, Op. Cit, p.11.

(21) Wm I. Alexander ,Op. Cit ,p.135.

(22) John W. Cromwell , Op. Cit,p.4.

(23) Ibid.

(24) W D. B. Dubois, The Suppression of The Africa Slave Trade to The United States of America (1638 –1870), 2007,p.9.

(25) John . R . Spears, The America Slave Trade, New York, 1900,p.15.

(26) W. O. Blake ,The History of Slavery Trade Ancient and Modern, Ohio, 1860,p.372.

(27) William kittle ,Op. Cit ,p.9.

(28) W.D.B. Dubois, Op. Cit ,pp.5-6.

(٢٩) كارل ديغرل، الانطلاق من الماضي "القوى التي شكلت أمريكا الحديثة"، ت: صادق إبراهيم عواد، دار الأهلي، عمان، ١٩٩٧، ص٥٢.

(30) W. O. Blake, Op. Cit,p.378.

(٣١) كارل ديغرل، المصدر السابق، ص٥٢.

(٣٢) الصدر نقسه، ص ٥٣.

(٣٣) هوارد زن، المصدر السابق، ص ٦٨.

(٣٤) ومن ذلك "التفاوت واختلاف إحكام العقوبات بين البيض والسود التي كانت تصدر على ذات الجريمة" فعلى سبيل المثال أصدرت محكمة في ولاية فرجينيا على ثلاث هاربين احدهم عبد زنجي إحكام متباينة فقد شددت في العقوبة على العبيد دون البيض، وكما حدث أيضا حينما هرب ستة من الخدم البيض وعبد اسود، إذ أصدرت المحكمة عقوبة اشد على الأسود من زملائه. يراجع ، كارل ديغرل، المصدر السابق،ص٥٥ – ٥٦.

(35) John W. Cromwell, Op. Cit,p.7.

(٣٦) كارل ديغرل، المصدر السابق، ص ٥٨.

(٣٧) المصدر نفسه.

(38) Goldwin Smith, The History of The United States of America From The Discover The Organization of Government Under The Federal Constitution (1497 – 1789), Vol. 1, New York, 1853,p.521; W. O. Blake, Op. Cit,p.371.

(٣٩) كارول ديغرل، المصدر السابق، ص٥٧.

(40) W. O. Blake, Op. Cit,p.372.

(41) John W. Cromwell ,Op. Cit,p.7.

(٤٢) نيوإنجلاند: هي تسمية تطلق على اقليم يتكون من ستة ولايات كانت النواة الأولى التي تكون منها اتحاد الولايات المتحدة الامريكية وهذه الولايات هي كونيتيكت، ماسوشوستس، نيوهاميشاير، رود أيلند، فيرمونت، مين. للمزيد ينظر: https://www.britannica.com/place/New-England.

(٤٣) اينا كورين براون، المصدر السابق، ص ٥٤–٥٥.

(٤٤) الكوكيرز. طائفة مسيحية اسمها الواعظ الانكليزي جورج فاوكس (George Fawkes) (١٦٢٤–١٦٩١) واقد انتقد فاوكس بعض المظاهر المسيحية مثل التعميد ، العشاء الرباني ، وأداء القسم ، وضريبة العشر ، ومظاهر الموسيقى والمرح ، ينظر:

Pink Dandelion ,The Quakers: A Very Short Introduction, New Yurk,2008.

(٤٥) ابنا كورين براون، المصدر السابق، ص ٥٤ – ٥٥.

(46) William kittle ,Op. Cit ,p.14.

(47) Ibid,p.11.

(48) Armstrong Archer, Compendium of Slavery, New York, 1844, p.26.

(49) Ibid.

(50) Ibid,p.27.

(51) Henry Wilson, Op. Cit,Vol.1, p.5.

(52) Armstrong Archer, Op. Cit,p.28.

(53) Ibid.

(٥٤) اينا كورين برون، المصدر السابق، ص ٦٣.

(٥٥) علي خيري مطرود، دراسات في التاريخ الامريكي الحديث، دار الايام، عمان،٢٠١٦، ص٤٥-٤٦.

(٥٦) ابنا كورين برون، المصدر السابق،ص٦٠.

(٥٧) على سبيل المثال كتب بعض المؤرخين بان احد السادة قام بضرب عبد له بالسياط حتى مات وذلك لان السيد قد كلفه بإيصال فرسه لمحطة القطار التي كانت تبعد ثلاثين كيلو متر عن مزرعته فاضطر العبد امام المسافة الطويلة لأمتطاء الفرس، فكانت عقوبة ذلك العمل إن ضرب بالسياط حتى مات، فيما قام سيداً أخر باقتلاع أسنان عبيدة فقط لأنه راءاهم يأكلون قصب السكر في الحقل إثناء العمل من جوعهم. ينظر: عبد السلام الترمانيني، الرق ماضيه وحاضره، الكويت، ١٩٧٩، ص ١٤١.

(58) W. D. B . Dubois, Op. Cit,p.5.

(٥٩) نقلا عن: هوارد زن، المصدر السابق، ص٧٢.

(٦٠) المصدر نفسه، ص٧٧.

(61) Joshua Coffin, An Account of Some of The Principal Slave Insurrections, and Others, Which Have Occurred, or Been Attempted, in The United States and Elsewhere, During the Last Two Centuries, 2006, pp.4–5.

(62) Ibid, pp.6-11.